السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

الحَمدُ للَّهِ الَّذِي أَسرَى بِعَبدِهِ لَيلًا مِن المَسجِدِ الحَرامِ إِلَى المَسجِدِ الأَقصَى الَّذِي بَارَكَ حَولَهُ، وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ؛ الَّذِي كَانَ القُدسُ الشَّرِيفُ نِهَايَةَ مَسرَاهُ وَبِدَايَةَ مِعرَاجِهِ إِلَى السَّمَاءِ العُلَى.
وَبَعدُ:
فَسَلَامُ اللَّهِ عَلَيكُم -أَيُّهَا السَّيِّدَاتُ وَالسَّادَةُ- وَرَحمَتُهُ وَبَرَكَاتُهُ، وَأُجَدِّدُ التَّرحِيبَ بِحَضَرَاتِكُم فِي جُمهُورِيَّةِ مِصرَ العَرَبِيَّةِ، وَفِي رِحَابِ الأَزهَرِ الشَّرِيفِ الَّذِي يَسُرُّهُ تَلبِيَتُكُم دَعوَتَهُ لِلمُشَارَكَةِ فِي هَذَا المُؤتَمَرِ العَالَمِيِّ الَّذِي يُنَظِّمُهُ بِالتَّعَاوُنِ مَعَ مَجلِسِ حُكَمَاءِ المُسلِمِينَ؛ لِنُصرَةِ القُدسِ الشَّرِيفِ، خَاصَّةً بَعدَ التَّطَوُّرَاتِ الأَخِيرَةِ الَّتِي فَجَّرَهَا القَرَارُ الأَمرِيكِيُّ المُجحِفُ، الَّذِي تَتَجَلَّى فِيهِ مَظَاهِرُ الغَطرَسَةِ، وَالتَّحَيُّزِ المَقِيتِ، وَتَزيِيفِ التَّارِيخِ، وَتَصدِيقِ النُّبُوءَاتِ الكَاذِبَةِ، وَالعَبَثِ بِمَصَائِرِ الشُّعُوبِ وَمُقَدَّسَاتِهَا.
وَاسمَحُوا لِي فِي البِدَايَةِ أَن أُعَلِّقَ عَلَى بَعضِ النِّقَاطِ الَّتِي وَرَدَت فِي مُدَاخَلَاتِ عَدَدٍ مِن السَّادَةِ المُشَارِكِينَ فِي جَلَسَاتِ المُؤتَمَرِ السَّابِقَةِ، وَأُصَحِّحُ بَعضَ الأَخطَاءِ الَّتِي لَاحَظتُهَا خِلَالَ تَنَاوُلِ الإِعلَامِ لِأَعمَالِ هَذَا المُؤتَمَرِ المُوَقَّرِ، قَبلَ أَن أَتَنَاوَلَ المِحوَرَينِ اللَّذَينِ تَدُورُ حَولَهُمَا كَلِمَتِي هَذِهِ.
أَوَّلًا: قَرَارُ (تِرَامبَ) لَيسَ طَامَّةً كُبرَى حَلَّت بِالعَرَبِ وَالمُسلِمِينَ وَقَضِيَّةِ فِلِسطِينِ بِرُمَّتِهَا كَمَا قَالَ بَعضُ المُشَارِكِينَ؛ إِذ إِنَّهُ قَرَارٌ بَاطِلٌ، سَاقِطٌ، هُوَ وَالعَدَمُ سَوَاءٌ، وَإِنَّمَا لَحِقَ الضَّرَرُ - مِن وِجهَةِ نَظَرِي - بِأَمرِيكَا وَبِالكِيَانِ الصُّهيُونِيِّ، وَلَيسَ بِالعَرَبِ وَالمُسلِمِينَ وَقَضِيَّتِهِم الأُولَى، فَالوَاقِعُ أَنَّ القُدسَ مُحتَلَّةٌ قَبلَ قَرَارِ (تِرَامبَ)، وَلَم وَلَن يَتَغَيَّرَ وَضعُهَا بِالقَرَارِ، وَمَا كَانَت مَدِينَةُ القُدسِ مِيرَاثًا لِـ(بُلفُورَ) وَلَا لِـ(تِرَامبَ) وَرِثُوهُ عَن أَجدَادِهِمَا حَتَّى يَمنَحَاهُ بِوَعدَينِ مَشئُومَينِ لِلصَّهَاينَةِ الغَاصِبِينَ، وَإِنَّمَا كَانَت القُدسُ - وَمَا زَالَت، وَستَبقَى - عَرَبِيَّةً، عَاصِمَةً أَبَدِيَّةً لِدَولَةِ فِلِسطِينَ.
وَلَم يَعُد يَخفَى عَلَى أَيِّ مُتَابِعٍ مَدَى الضَّرَرِ الَّذِي لَحِقَ بِأَمرِيكَا جَرَّاءَ هَذَا القَرَارِ الجَائِرِ، وَلَعَلَّ الضَّرَرَ الأَكبَرَ؛ هُوَ اِنكِشَافُ وَجهِهَا القَبِيحِ، الَّذِي طَالَمَا تَوَارَى خَلفَ سِتَارِ رِعَايَةِ السَّلَامِ، وَحِمَايَةِ الحُرِيَّاتِ وَالدِّيمُقرَاطِيَّاتِ، وَالدِّفَاعِ عَن حُقُوقِ الإِنسَانِ - وَالحَيَوَانِ كَذَلِكَ - وَأَنَّهَا صَدِيقَةٌ لِلعَرَبِ وَحَلِيفُهُم الإِستِرَاتِيجِيُّ، فَإِذَا بِهَذَا الأَرعَنِ يَكشِفُ بِجَلَاءٍ عَن وَجهِهَا الإِمبِرِيَالِيِّ

وَالأَيدِيُولُوجِيِّ القَبِيحِ. كَمَا أَنَّ هُنَاكَ ضَرَرًا عَظِيمًا لَحِقَ بِالغَاصِبِ المُحتَلِّ؛ فَقَد ثَبَتَ أَنَّ الصَّهَايِنَةَ لَا يَزَالُونَ يَكذِبُونَ وَيَخدَعُونَ العَالَمَ بِمَا يُسَمَّى المُفَاوَضَاتَ، الَّتِي تُرِكَ لَهَا تَحدِيدُ مَصِيرِ القُدسِ؛ حَيثُ أَعلَنُوا صَرَاحَةً، بَل أَصدَرُوا قَانُونًا لَا تَخضَعُ بِمُوجِبِهِ القُدسُ لِأَيِّ مُفَاوَضَاتٍ، وَهُوَ مَا يَعنِي - بِزَعمِهِم - أَنَّ شِبرًا مِنهَا لَن يَعُودَ لِأَصحَابِهِ، لَكِن هَيهَاتَ هَيهَاتَ!، فَالقُدسُ سَتُحَرَّرُ، وَسَتَعُودُ فِلِسطِينُ، إِن لَم يَكُن عَلَى أَيدِينَا، فَعَلَى أَيدِي أَبنَائِنَا أَو أَحفَادِنَا. وَيَكفِي أَمرِيكَا وَنَبتُهَا السَّرَطَانِيُّ غَيرُ الشَّرعِيِّ ضَرَرًا اليَومَ أَنَّ العَالَمَ -إِلَّا بَعضَ دُوَيلَاتٍ أَعيَانَا البَحثُ عَن مَوَاقِعِهَا عَلَى خَرِيطَةِ العَالَمِ تَبِعَتَهُم فِي جُرمِهِم طَوعًا أَو كَرهًا- يَمقُتُهُم، وَيَرَاهُم غَاصِبِينَ كَاذِبِينَ مُخَادِعِينَ، وَيَدعَمُ الفِلِسطِينِيِّينَ فِي سَعيِهِم لِاستِردَادِ حُقُوقِهِم المَسلُوبَةِ، وَلَا أَدَلَّ عَلَى ذَلِكَ مِن الصَّفعَةِ الَّتِي تَلَقَّاهَا القَرَارُ فِي مَجلِسِ الأَمنِ الدَّولِيِّ وَالجَمعِيَّةِ العَامَّةِ لِلأُمَمِ المُتَّحِدَةِ، وَلَولَا اِستِخدَامُ أَمرِيكَا حَقَّ البَلطَجَةِ المُسَمَّى بـ: (الفِيتُو) فِي مَجلِسِ الأَمنِ، وَتَهدِيدُهَا بِقَطعِ المَعُونَاتِ وَالمُسَاعَدَاتِ الَّتِي تُقَدِّمُهَا لِبَعضِ الدُّوَلِ وَالهَيئَاتِ؛ لَكَانَت الصَّفعَةُ أَقوَى وَأَشَدَّ، وَلَكِن حَسبُنَا مِمَّا حَدَثَ أَن رَأَينَا أَكبَرَ دَولَةٍ فِي العَالَمِ مَعزُولَةً سِيَاسِيًّا، مَنبُوذَةً أَيدِيُولُوجِيًّا.

ثَانِيًا: مَا يُقَالُ مِن أَنَّ هَذَا المُؤتَمَرَ لَا يَعدُو كَونَهُ تَظَاهُرَةً كَلَامِيَّةً لَن يَتَرَتَّبَ عَلَيهَا أَثَرٌ، وَلَن تُحَرِّرَ القُدسَ، أَخشَى أَن يَكُونَ المُرَادُ مِنهُ تَثبِيطَ الهِمَمِ، وَإِطفَاءَ جَذوَةِ القَضِيَّةِ فِي الأَذهَانِ حَتَّى تَنسَاهَا الأَجيَالُ العَرَبِيَّةُ وَالمُسلِمَةُ شَيئًا فَشَيئًا.

صَحِيحٌ أَنَّ هَذَا المُؤتَمَرَ لَن يُحَرِّرَ القُدسَ، وَلَكِنَّهُ سَيَترَتَّبُ عَلَيهِ أَثَرٌ إِيجَابِيٌّ كَبِيرٌ - بِمَشِيئَةِ اللَّهِ تَعَالَى- فِي إِحدَاثِ حِرَاكٍ فَعَّالٍ؛ لِدَعمِ القَضِيَّةِ فِي المَحَافِلِ الدَّولِيَّةِ وَلَدَى أَحرَارِ العَالَمِ، وَاِستِعَادَةِ الوَعيِ المَطلُوبِ لَدَى النَّشءِ العَرَبِيِّ وَالإِسلَامِيِّ بِقَضِيَّةِ فِلِسطِينَ عَامَّةً وَالقُدسِ خَاصَّةً، بَل إِنَّ هَذَا المُؤتَمَرَ قَد حَقَّقَ المَرجُوَّ مِنهُ بِفَضلِ اللَّهِ - تَعَالَى- فَقَد شَحَذَ الهِمَمَ، وَأَحيَى القَضِيَّةَ فِي الأَذهَانِ، وَلَا أَدَلَّ عَلَى ذَلِكَ مِن هَذِهِ المُشَارَكَةِ الوَاسِعَةِ، وَهَذَا الحُضُورِ الحَاشِدِ مِن مُختَلَفِ قَارَّاتِ العَالَمِ، بِمَا يُمَثِّلُهُ مِن تَنَوُّعٍ؛ دِينِيٍّ وَعِلمِيٍّ وَثَقَافِيٍّ وَفِكرِيٍّ وَسِيَاسِيٍّ وَقَانُونِيٍّ، وَلَا شَكَّ أَنَّ هَؤُلَاءِ النُّخَبَ سَيَتَبَنَّونَ القَضِيَّةَ، وَسَيُدَافِعُونَ عَنهَا عَبرَ الوَسَائِلِ المُختَلِفَةِ فِي بُلدَانِهِم، وَيَكفِي إِجمَاعُ مُمَثِّلِي أَتبَاعِ الدِّيَانَاتِ الإِبرَاهِيمِيَّةِ اليَهُودِيَّةِ وَالمَسِيحِيَّةِ وَالإِسلَامِيَّةِ عَلَى التَّبَرُّؤِ مِن الكِيَانِ الصُّهيُونِيِّ، وَإِدَانَةِ جَرَائِمِهِ بِحَقِّ البَشَرِ وَالمُقَدَّسَاتِ، وَخَاصَّةً مَا

صَرَّحَ بِهِ أَتبَاعُ الدِّيَانَةِ اليَهُودِيَّةِ الَّذِينَ شَارَكُوا فِي المُؤتَمَرِ مِن أَنَّ هَذَا الكِيَانَ لَا يُمَثِّلُ اليَهُودِيَّةَ، وَأَنَّ مَا يَرتَكِبُهُ مِن جَرَائِمَ بَعِيدَةٌ كُلَّ البُعدِ عَن تَعَالِيمِ اليَهُودِيَّةِ الصَّحِيحَةِ، وَأَنَّ هَؤُلَاءِ الصَّهَايِنَةَ لَا يَصِحُّ تَسمِيَتُهُم بِاليَهُودِ، وَلَا حَتَّى بِالإِسرَائِيلِيِّينَ.

هَذَا.. بِالإِضَافَةِ إِلَى مِئَاتِ مَلَايِينِ البَشَرِ الَّذِينَ كَانُوا يَتَرَقَّبُونَ المُؤتَمَرَ حَولَ العَالَمِ، وَكَذَا المُتَابِعِينَ لِأَعمَالِهِ، فَقَد حَظِيَ المُؤتَمَرُ بِمُتَابَعَةٍ وَاسِعَةٍ مِن الشَّرقِ وَالغَربِ تَجَاوَزَت نِصفَ مِليَارٍ عَبرَ شَبَكَاتِ التَّوَاصُلِ الاِجتِمَاعِيِّ، فِي ظَاهِرَةٍ غَيرِ مَسبُوقَةٍ حَتَّى فِي مُتَابَعَةِ أَخبَارِ أَشرَسِ الحُرُوبِ، وَلَو لَم يُحَقِّق المُؤتَمَرُ أَكثَرَ مِن هَذَا لَكَفَاهُ.

ثَالِثًا: لَا أَدرِي لِمَاذَا لَا يَفتَأُ العَرَبُ وَالمُسلِمُونَ يَتَحَدَّثُونَ عَن أَنَّنَا أُمَّةَ سَلَامٍ، وَأَنَّ السَّلَامَ خِيَارُنَا الإِستِرَاتِيجِيُّ، بَل خِيَارُنَا الأَوحَدُ الَّذِي لَا بَدِيلَ لَنَا عَنهُ!.

إِنَّنَا - أَيُّهَا السَّادَةُ - أُمَّةُ سَلَامٍ مَعَ مَن سَالَمَنَا، وَيَنبَغِي أَن نَكُونَ أُمَّةَ حَربٍ ضَرُوسٍ لَا تُبقِي وَلَا تَذَرُ مَعَ مَن عَادَانَا وَقَاتَلَنَا وَتَآمَرَ عَلَينَا، وَالخَلطُ بَينَ السَّلَامِ وَالاِستِسلَامِ خَلطٌ مَعِيبٌ لَا يَنبَغِي أَن نَقَعَ فِيهِ، فَثَمَّةَ فَرقٌ شَاسِعٌ بَينَ السَّلَامِ وَالإِستِسلَامِ؛ فَالسَّلَامُ مَعَ مَن سَالَمَنَا؛ امتِثَالًا لِقَولِ رَبِّنَا: "وَإِن جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ" [الأنفال: ٦١]، وَالبَطشُ كُلُّ البَطشِ مَعَ مَن يُعَادِينَا وَيُحَارِبُنَا؛ اِمتِثَالًا لِقَولِ رَبِّنَا: "*فَمَنِ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَى عَلَيْكُمْ* وَاتَّقُوا اللَّهَ" [البقرة: ١٩٤]، وَلِذَا فَإِنَّ المُبَالَغَةَ فِي قَبُولِ غَطرَسَةِ المُتَغَطرِسِينَ بِدَعوَى أَنَّنَا أُمَّةُ سَلَامٍ تَجعَلُ إِيمَانَنَا بِشَرعِنَا مَنقُوصًا؛ لِأَنَّهَا -عِندَئِذٍ- تَكُونُ عَينَ الاِستِسلَامِ وَالاِنهِزَامِ وَالاِنكِسَارِ المَذمُومِ عُرفًا وَعَقِيدَةً.

وَلَعَلَّ وَقَائِعَ التَّارِيخِ، بَل إِنَّ مَوَازِينَ القُوَى فِي العَالَمِ الآنَ، تُثبِتُ بِجَلَاءٍ أَنَّهُ لَا اِحتِرَامَ إِلَّا لِلقَوِيِّ، وَأَنَّ الضَّعِيفَ المُتَخَاذِلَ مَطمَعٌ لِكُلِّ طَامِعٍ، وَقَد أَمَرَنَا رَبُّنَا عزَّ وجلَّ أَن نُعِدَّ العُدَّةَ عَلَى الأَصعِدَةِ كَافَّةً، وَأَن نَكُونَ عَلَى أَهُبَّةِ الاِستِعدَادِ لِرَدِّ عُدوَانِ المُعتَدِي وَكَفِّ أَذَاهُ وَرَدعِهِ، فَقَالَ سُبحَانَهُ: "وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ" [الأنفال: ٦٠].

رَابِعًا: مِن العَجِيبِ - بَل مِن المُحزِنِ- أَن يَتَحَدَّثَ العَالَمُ بِمَا فِيه الكِيَانُ الصُّهيُونِيُّ وَمِن خَلفِهِ أَمرِيكَا عَن القُدسِ كَمَدِينَةٍ مُوَحَّدَةٍ عَاصِمَةٍ لِلصَّهَايِنَةِ، وَلَا يَتَحَدَّثُونَ عَنهَا مُقَسَّمَةً إِلَى شَرقِيَّةٍ وَغَربِيَّةٍ إِلَّا عِندَ حَدِيثِهِم عَن مُفَاوَضَاتِ

حَلِّ الدَّولَتَينِ، الَّذِي نَصَّت عَلَيهِ قَرَارَاتُ التَّقسِيمِ الَّتِي قَبِلَهَا العَرَبُ مَعَ الأَسَفِ، مُتَّخِذِينَ ذَلِكَ ذَرِيعَةً؛ لِإِضفَاءِ شَرعِيَّةٍ عَلَى الكِيَانِ الصُّهيُونِيِّ، ثُمَّ تَجِدُهُم يَتَجَاهَلُونَ جَمِيعَ مَا فِي هَذِهِ القَرَارَاتِ بِمَا فِي ذَلِكَ قِيَامُ الدَّولَةِ الفِلِسطِينِيَّةِ وَعَاصِمَتُهَا القُدسُ الشَّرقِيَّةُ! فَإِذَا كَانُوا لَا يَعتَرِفُونَ بِشَرقِيٍّ وَغَربِيٍّ فِي القُدسِ، فَلِمَاذَا لَا نَتَحَدَّثُ نَحنُ - العَرَبَ وَالمُسلِمِينَ - عَن القُدسِ بِمَنطِقِهِم كَمَدِينَةٍ مُوَحَّدَةٍ عَاصِمَةٍ لِدَولَةِ فِلِسطِينَ؟! لِمَاذَا نَحتَرِمُ قَوَانِينَ وَقَرَارَاتٍ ضَرَبَ بِهَا مَن أَصدَرُوهَا عُرضَ الحَائِطِ؟! بَل لِمَاذَا نَظَلُّ عَلَى مَوقِفِنَا مِن قَرَارَاتِ تَقسِيمِ فِلِسطِينَ مَا دُمنَا قَد رَضِينَا بِهَا وَقتَئِذٍ طَلَبًا لِلسَّلَامِ الَّذِي لَا يَنفَكُّ الصَّهَاينَةُ يَضَعُونَ العَرَاقِيلَ تِلوَ العَرَاقِيلِ لِلحَيلُولَةِ دُونَهُ، بَل إِنَّ مَوَاقِفَهُم وَتَصرِيحَاتِهِم كُلَّهَا لَا تَمُتُّ لِلسَّلَامِ بِصِلَةٍ؟! لِمَاذَا لَا نُطَالِبُ بِفِلِسطِينَ كَامِلَةٍ - وَهَذَا حَقُّنَا دِينًا وَتَارِيخًا - لِيَكُونَ لَدَينَا مَا نَتَفَاوَضُ عَلَيهِ إِن كَانَ هَنَاكَ تَفَاوُضٌ أَصلًا؟!

خَامِسًا: إِنَّ الإِرهَابَ الَّذِي يُمَارِسُهُ الكِيَانُ الصُّهيُونِيُّ بِحَقِّ الفِلِسطِينِيِّينَ وَمُقَدَّسَاتِنَا الإِسلَامِيَّةِ وَالمَسِيحِيَّةِ فِي القُدسِ الشَّرِيفِ لَا يَختَلِفُ كَثِيرًا عَنِ الإِرهَابِ الَّذِي يَضرِبُ مَنطِقَتَنَا المَنكُوبَةَ، فَكِلَاهُمَا صِنَاعَةٌ إِسرَائِيلِيَّةٌ أَمرِيكِيَّةٌ خَالِصَةٌ، وَعَلَينَا أَن نُعلِنَ ذَلِكَ صَرَاحَةً دُونَ مُوَارَبَةٍ أَو مُدَاهَنَةٍ، وَلنَتَوَقَّف عَن جَلدِ أَنفُسِنَا، وَعَلَى المُنهَزِمِينَ نَفسِيًّا وَالمُغَيَّبِينَ عَقلِيًّا أَن يَفِيقُوا وَيَنتَهُوا عَنِ اتِّهَامِ مَنَاهِجِنَا التَّعلِيمِيَّةِ وَدِينِنَا الحَنِيفِ وَتُرَاثِنَا السَّمحِ بِالعُنفِ وَالتَّطَرُّفِ، فَجَمِيعُهُم بَرَاءٌ مِن هَذَا الإِرهَابِ الأَسوَدِ الَّذِي صَنَعُوهُ وَزَوَّدُوهُ بِالدَّعمِ اللُّوجِستِيِّ وَكُلِّ سُبُلِ التَّمَدُّدِ وَالانتِشَارِ، ثُمَّ اتَّخَذُوهُ ذَرِيعَةً لِتَدمِيرِ بِلَادِنَا، وَفَرضِ الوِصَايَةِ عَلَى شُعُوبِنَا، وَتَحطِيمِ آمَالِنَا فِي مُستَقبَلٍ أَفضَلَ لِشَبَابِنَا وَالأَجيَالِ المُقبِلَةِ!

تِلكَ كَانَت بَعضَ مُلَاحَظَاتٍ كَانَ لَا بُدَّ مِن الوُقُوفِ عِندَهَا وَتَوضِيحِهَا.

أَمَّا المِحوَرَانِ اللَّذَانِ تَدُورُ حَولَهُمَا كَلِمَتِي هَذِهِ؛ فَهُمَا: إِحيَاءُ قَضِيَّةِ القُدسِ فِي أَذهَانِ النَّشءِ العَرَبِيِّ وَالإِسلَامِيِّ، وَزِيَارَةُ القُدسِ الشَّرِيفِ.

الحُضُورُ الكَرِيمُ:

إِنَّ مُستَوَى وَعيِ النَّشءِ العَرَبِيِّ وَالإِسلَامِيِّ بِقَضِيَّةِ القُدسِ الشَّرِيفِ، لَيسَ عَلَى المُستَوَى المَطلُوبِ، فَقَد شُغِلَت أَو أُشغِلَت كُلُّ دَولَةٍ مِن عَالَمِنَا العَرَبِيِّ وَالإِسلَامِيِّ عَن قَضِيَّةِ العَرَبِ وَالمُسلِمِينَ المِحوَرِيَّةِ بِهُمُومٍ وَقَضَايَا وَمُشكِلَاتٍ دَاخِلِيَّةٍ وَأَحدَاثٍ جِسَامٍ جَرَّهَا عَلَينَا أَعدَاؤُنَا وَقُوَى الشَّرِ المُتَرَبِّصَةُ

بِمَنطِقَتِنَا، فَاختَلَفَ مُستَوَى الإِحَاطَةِ وَالإِدرَاكِ وَالمَعرِفَةِ بِهَذِهِ القَضِيَّةِ لَدَى الأَجيَالِ النَّاشِئَةِ عَن إِحَاطَةِ وَإِدرَاكِ وَمَعرِفَةِ جِيلِنَا وَالأَجيَالِ الَّتِي سَبَقَتنَا؛ حَيثُ إِنَّنَا عَايَشنَا وَمِنَّا مَن شَارَكَ فِي بَعضِ الحُرُوبِ الَّتِي خُضنَاهَا مَعَ الكِيَانِ الصُّهيُونِيِّ الغَاصِبِ، وَهُوَ مَا يَصعُبُ مَحوُ آثَارِهِ مِن وُجدَانِنَا.
أَمَّا هَذَا النَّشءُ، فَتَقتَصِرُ مَعرِفَتُهُ بِهَذِهِ القَضِيَّةِ عَلَى بَعضِ مَعلُومَاتٍ سَطحِيَّةٍ مُتَنَاثِرَةٍ فِي مُقَرَّرَاتِهِ الدِّرَاسِيَّةِ يَنقُصُهَا كَثِيرٌ مِن العُمقِ وَالتَّركِيزِ وَالاِستِقصَاءِ، نَاهِيكَ بِبَعضِ أَخبَارٍ تَتَنَاوَلُهَا نَشرَاتُ الأَخبَارِ بَينَ الفَينَةِ وَالأُخرَى، سُرعَانَ مَا تُطفِئُ جَذوَتَهَا أَخبَارُ الإِرهَابِ وَكَوَارِثُهُ الَّتِي لَا تَكَادُ تَنتَهِي، خَاصَّةً فِي مَنطِقَتِنَا المَنكُوبَةِ هَذِهِ.
وَلِذَا..وَجَبَ عَلَى المُؤَسَّسَاتِ التَّعلِيمِيَّةِ وَالتَّربَوِيَّةِ وَالثَّقَافِيَّةِ فِي وَطَنِنَا العَرَبِيِّ وَالإِسلَامِيِّ تَدَارُكُ هَذَا القُصُورِ سَرِيعًا قَبلَ أَن تَختَلِطَ الأُمُورُ فِي عُقُولِ النَّاشِئَةِ، خَاصَّةً فِي ظِلِّ حَملَةٍ لَا هَوَادَةَ فِيهَا لِتَزيِيفِ تَارِيخِ تِلكَ المَدِينَةِ المُقَدَّسَةِ وَطَمسِ هُوِيَّتِهَا، فَنَحنُ فِي هَذِهِ المَرحَلَةِ فِي غِمَارِ مَعرَكَةٍ طَاحِنَةٍ عَلَى المُستَوَيَاتِ كَافَّةً، وَلَعَلَّ الأَشرَسَ وَالأَخطَرَ فِي تِلكَ المَعرَكَةِ هُوَ مُستَوَى الوَعيِ الَّذِي يَقتَضِي عَدَمَ تَركِ أَجيَالِنَا - وَخَاصَّةً النَّشءَ - فَرِيسَةً لِتَغرِيبٍ ثَقَافِيٍّ، وَآلَةٍ إِعلَامِيَّةٍ ضَخمَةٍ تُستَخدَمُ اليَومَ سِلَاحًا فَعَّالًا بَل فَتَّاكًا لِقَلبِ الحَقَائِقِ فِي إِطَارِ مَعرَكَةِ الوَعيِ هَذِهِ!
وَحَتَّى لَا يَكُونَ هَذَا الكَلَامُ مُجَرَّدَ تَنظِيرٍ أَو تَوصِيَةٍ، فَقَد شَرَعَ الأَزهَرُ الشَّرِيفُ فِي اِتِّخَاذِ خُطُوَاتٍ عَمَلِيَّةٍ فِي هَذَا الصَّدَدِ، فِي مُبَادَرَةٍ لَعَلَّهَا تَجِدُ مَن يَحذُو حَذوَهَا فِي مِصرَ وَالعَالَمِ العَرَبِيِّ وَالإِسلَامِيِّ؛ حَيثُ اِعتَمَدَ الأَزهَرُ مُقَرَّرًا دِرَاسِيًّا يُدَرَّسُ فِي مَرَاحِلِ التَّعلِيمِ الأَزهَرِيِّ مَا قَبلَ الجَامِعِيِّ، وَالجَامِعِيِّ بِدَايَةً مِن المَرحَلَةِ الإِعدَادِيَّةِ.
وَلَا شَكَّ أَنَّ هَذَا المُقَرَّرَ سَيُؤتِي ثِمَارَهُ المَرجُوَّةَ بِمَشِيئَةِ اللهِ - تَعَالَى- خَاصَّةً إِذَا عُرِفَ أَنَّ مَجمُوعَ الطُّلَّابِ المُستَهدَفِينَ سَنَوِيًّا يَزِيدُ عَلَى مِليُونَي طَالِبٍ، وَأَنَّ هَذَا المُقَرَّرَ سَيُعنَى بِالتَّأصِيلِ التَّارِيخِيِّ لِفِلِسطِينَ العَرَبِيَّةِ، وَبَيَانِ المَكَانَةِ الدِّينِيَّةِ لِلقُدسِ الشَّرِيفِ مَهدِ المَسِيحِ عِيسَى عليه السلام وَمَسرَى مُحَمَّدٍ صلى الله عليه وسلم وَمِعرَاجِهِ، وَالتَّأصِيلِ التَّارِيخِيِّ لِلصِّرَاعِ العَرَبِيِّ الإِسرَائِيلِيِّ بِدَايَةً مِن زَرعِ هَذَا الكِيَانِ الصُّهيُونِيِّ اللَّقِيطِ فِي أَرضِنَا، مُرُورًا بِالحُرُوبِ الَّتِي دَارَت بَينَ العَرَبِ وَالصَّهَاينَةِ وَمَن خَلفَهُم مِن قُوًى تَرتَدِي زِيَّ الأَصدِقَاءِ وَرُعَاةِ السَّلَامِ، وَهُم كَاذِبُونَ مُخَادِعُونَ، وَكَذَا الاِعتِدَاءَاتِ وَالاِنتِهَاكَاتِ الَّتِي

مُورِسَت بِحَقِّ البَشَرِ وَالمُقَدَّسَاتِ، وُصُولًا إِلَى ذَاكَ القَرَارِ المُجحِفِ الَّذِي أَصدَرَهُ الرَّئِيسُ الأَمرِيكِيُّ (تِرَامبُ) فِي تَحَدٍّ سَافِرٍ وَاِستِفزَازٍ قَمِيءٍ لِمَشَاعِرِ قُرَابَةِ مِليَارَي مُسلِمٍ حَولَ العَالَمِ، فَضلًا عَن الإِخوَةِ المَسِيحِيِّينَ.
وَلَعَلَّ أَهَمَّ مَهَامِّنَا فِي هَذَا الصَّدَدِ هُوَ اِنتِصَارُنَا فِي مَعرَكَةِ الوَعيِ، وَأَن نُعِدَّ العُدَّةَ وَنَكُونَ عَلَى أُهبَةِ الاِستِعدَادِ لِليَومِ المَوعُودِ الَّذِي تَعُودُ فِيهِ فِلِسطِينُ عَرَبِيَّةً إِسلَامِيَّةً، وَيُحَرَّرُ القُدسُ الشَّرِيفُ بِكُلِّ مُقَدَّسَاتِهِ الإِسلَامِيَّةِ وَالمَسِيحِيَّةِ، وَعَسَى أَن يَكُونَ قَرِيبًا!.
السَّيِّدَاتُ وَالسَّادَةُ الحُضُورُ:
إِنَّ اِرتِبَاطَ وِجدَانِ المُسلِمِينَ وَالمَسِيحِيِّينَ حَولَ العَالَمِ بِالقُدسِ الشَّرِيفِ وَمَا تَضُمُّهُ مِن مُقَدَّسَاتٍ هُوَ اِرتِبَاطٌ وَثِيقٌ لَا يُمكِنُ التَّشكِيكُ فِيهِ، فَهُوَ شَأنٌ عَقَدِيٌّ رُوحِيٌّ تَارِيخِيٌّ حَضَارِيٌّ إِنسَانِيٌّ بِامتِيَازٍ، لَكِنَّ قَضِيَّةَ زِيَارَةِ القُدسِ الشَّرِيفِ سَتَبقَى مَحَلَّ نِقَاشٍ، وَمَوضِعَ خِلَافٍ عَلَى الصَّعِيدِ الإِسلَامِيِّ وَالمَسِيحِيِّ عَلَى حَدٍّ سَوَاءٍ، وَهُنَا لَا بُدَّ مِن الإِشَارَةِ إِلَى ثَلَاثَةِ أُمُورٍ حَتَّى تُفهَمَ تِلكَ القَضِيَّةُ فَهمًا صَحِيحًا:
الأَوَّلُ: أَنَّهُ لَا خِلَافَ عَلَى عَدَمِ جَوَازِ التَّطبِيعِ مَعَ الكِيَانِ الصُّهيُونِيِّ المُحتَلِّ، فَهُوَ فِي نَظَرِ المُسلِمِينَ - وَالمَسِيحِيِّينَ أَيضًا - عَدُوٌّ تَارِيخِيٌّ مُغتَصِبٌ لِأَرضِنَا العَرَبِيَّةِ، وَمُنتَهِكٌ لِمُقَدَّسَاتِنَا الإِسلَامِيَّةِ وَالمَسِيحَيَّةِ، وَقَد بَلَغَت جَرَائِمُهُ المَدَى بِحَقِّ رِجَالِنَا وَنِسَائِنَا وَأَطفَالِنَا.
الثَّانِي: أَنَّ زِيَارَةَ القُدسِ وَالصَّلَاةَ فِي المَسجِدِ الأَقصَى مَندُوبَةٌ شَرعًا؛ فَالأَقصَى بِالنِّسبَةِ لَنَا نَحنُ -المُسلِمِينَ- أُولَى القِبلَتَينِ، وَثَالِثُ الحَرَمَينِ، وَأَحَدُ المَسَاجِدِ الثَّلَاثَةِ الَّتِي لَا تُشَدُّ الرِّحَالُ إِلَّا إِلَيهَا، وَهَذَا هُوَ الحُكمُ العَامُّ الَّذِي لَا خِلَافَ حَولَهُ.
الثَّالِثُ: أَنَّ اِختِلَافَ عُلَمَاءِ عَصرِنَا يَنحَصِرُ فِي زِيَارَةِ القُدسِ تَحتَ الاِحتِلَالِ، وَالسَّبَبُ فِي ذَلِكَ عِندَ جَمِيعِ العُلَمَاءِ رَاجِعٌ إِلَى اِختِلَافِهِم فِي تَقدِيرِ المَصلَحَةِ والمَفسَدَةِ مِن هَذِهِ الزِّيَارَةِ:
فَمِنهُم مَن رَأَى الزِّيَارَةَ دَعمًا لِلمَقدِسِيِّينَ اِقتِصَادِيًّا وَمَعنَوِيًّا، وَرِسَالَةً لِلصَّهَايِنَةِ وَمَن خَلفَهُم بِأَنَّ القُدسَ لَا يَخُصُّ الفِلِسطِينِيِّينَ وَحدَهُم، بَل هُوَ حَقٌّ لِلعَرَبِ وَالمُسلِمِينَ وَالمَسِيحِيِّينَ كَذَلِكَ، وَهُوَ مَا يُمَثِّلُ فِي نَظَرِ مَن يَرَى هَذَا الرَّأيَ ضَغطًا يُسهِمُ فِي حَلِّ القَضِيَّةِ الفِلِسطِينِيَّةِ وَتَحرِيرِ القُدسِ، وَلِذَا تَجِدُهُم يُشَجِّعُونَ عَلَى الزِّيَارَةِ مِن هَذِهِ المُنطَلَقَاتِ.

وَيَرَى آخَرُونَ أَنَّ زِيَارَةَ القُدسِ تَحتَ الاحتِلَالِ تُعَدُّ تَطبِيعًا مَعَ الكِيَانِ الصُّهيُونِيِّ؛ لِكَونِ المَدِينَةِ بِمَا فِيهَا مِن مُقَدَّسَاتٍ تَحتَ سَيطَرَةِ الصَّهَايِنَةِ، وَأَنَّ الزِّيَارَةَ سَتَدعَمُ اِقتِصَادَهُم مِن خِلَالِ مَا يُنفِقُهُ الزَّائِرُونَ وَقتَ زِيَارَتِهِم وَإِقَامَتِهِم، وَأَنَّهَا رُبَّمَا تُعطِي مُبَرِّرًا لِلصَّهَايِنَةِ وَمَن يَقِفُ خَلفَهُم، وَفِي مُقَدِّمَتِهِم أَمرِيكَا، لِلقَولِ بِأَنَّ المُسلِمِينَ هَا هُم يَزُورُونَ الأَقصَى وَيُصَلُّونَ فِيهِ، وَأَنَّ المَسِيحِيِّينَ يَزُورُونَ كَنَائِسَهُم وَيُصَلُّونَ فِيهَا، وَمِن ثَمَّ فَلَا ضَرَرَ وَلَا مُشكِلَةَ فِي أَن يَبقَى وَضعُ القُدسِ كَمَا هُوَ، وَتَظَلُّ القَضِيَّةُ مُعَلَّقَةً.

وَهَذَا الفَرِيقُ وفقًا لِهَذِهِ المُعطَيَاتِ لَدَيهِ كُلُّ الحَقِّ فِي مَنعِ الزِّيَارَةِ حَتَّى تُحَرَّرَ القُدسُ وَتَكُونَ تَحتَ وِلَايَةِ أَهلِهَا.

وَقَد تَنَاوَلَت بَعضُ الهَيئَاتِ الإِسلَامِيَّةِ وَالمَجَامِعِ الفِقهِيَّةِ مَسأَلَةَ زِيَارَةِ القُدسِ تَحتَ الاحتِلَالِ فِي عَدَدٍ مِن المُؤتَمَرَاتِ، وَخَلُصَت إِلَى قَرَارَاتٍ رَوَّجَ لَهَا بَعضُ النَّاسِ عَلَى أَنَّهَا فَتوَى تُجِيزُ الزِّيَارَةَ تَحتَ الاِحتِلَالِ، وَمِن ذَلِكَ:

* مَا صَدَرَ عَن مَجمَعِ الفِقهِ الإِسلَامِيِّ الدَّولِيِّ -المُنبَثِقِ عَن مُنَظَّمَةِ التَّعَاوُنِ الإِسلَامِيِّ- فِي دَورَتِهِ الثَّانِيَةِ وَالعِشرِينَ الَّتِي اِنعَقَدَت بِدَولَةِ الكُوَيتِ خِلَالَ الفَترَةِ مِن ٢٢ إِلَى ٢٥ مَارِس ٢٠١٥م؛ حَيثُ جَاءَ فِي قَرَارِهِ: «بَعدَ الاِطِّلَاعِ عَلَى البُحُوثِ المُقَدَّمَةِ إِلَى المَجمَعِ بِخُصُوصِ مَوضُوعِ: (زِيَارَةُ القُدسِ: الأَهدَافُ وَالأَحكَامُ الشَّرعِيَّةُ)، وَبَعدَ اِستِمَاعِهِ إِلَى المُنَاقَشَاتِ المُوَسَّعَةِ الَّتِي دَارَت حَولَهُ، اِنتَهَى إِلَى أَنَّ الحُكمَ الشَّرعِيَّ لِلزِّيَارَةِ مَندُوبٌ وَمُرَغَّبٌ فِيهِ، وَلَكِنَّ النِّقَاشَ دَارَ حَولَ تَحَقُّقِ المَصَالِحِ وَالمَفَاسِدِ فِي ذَلِكَ. وَيَرَى المَجمَعُ أَنَّ تَقدِيرَ هَذِهِ المَصَالِحِ يَعُودُ إِلَى المُختَصِّينَ مِن أُولِي الأَمرِ وَالسِّيَاسَةِ فِي بِلَادِ المُسلِمِينَ». وَيَتَحَدَّثُ القَرَارُ -كَمَا هُوَ وَاضِحٌ- عَن أَمرَينِ:

- الأَوَّلُ: الحُكمُ الأَصلِيُّ العَامُّ لِزِيَارَةِ القُدسِ، وَهُوَ النَّدبُ؛ لِقَولِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم: «لَا تُشَدُّ الرِّحَالُ إِلَّا إِلَى ثَلَاثَةِ مَسَاجِدَ: المَسجِدِ الحَرَامِ، وَمَسجِدِي هَذَا، وَالمَسجِدِ الأَقصَى»، وَهَذَا -كَمَا ذَكَرتُ آنِفًا - لَا خِلَافَ عَلَيهِ، وَهُوَ خَارِجٌ عَن مَحَلِّ النِّزَاعِ.

- الثَّانِي: حُكمُ زِيَارَةِ القُدسِ تَحتَ الاحتِلَالِ، وَهَذَا هُوَ مَحَلُّ الخِلَافِ، وَقَد تَرَكَ القَرَارُ تَقدِيرَ المَصَالِحِ وَالمَفَاسِدِ المُتَرَتِّبَةِ عَلَى ذَلِكَ لِلمُختَصِّينَ مِن السَّاسَةِ وَصُنَّاعِ القَرَارِ فِي بِلَادِ العَرَبِ وَالمُسلِمِينَ. وَلَيسَ فِي هَذَا مَا يُفهَمُ مِنهُ أَنَّهُ فَتوَى تُطَالِبُ بِزِيَارَةِ القُدسِ تَحتَ الاِحتِلَالِ أَو تَمنَعُهَا.

* وَقَد اِنعَقَدَ فَي العَاصِمَةِ الأُردُنِيَّةِ عَمَّانِ خِلَالَ الفَترَةِ مِن ٢٨ إِلَى ٣٠ أَبرِيلَ ٢٠١٤مِ مُؤتَمَرٌ بِعُنوَانِ: «الطَّرِيقُ إِلَى القُدسِ»، وَجَاءَ فِي نَصِّ بَيَانِهِ: «... وَبِخُصُوصِ زِيَارَةِ المَسجِدِ الأَقصَى تَحتَ الاحتِلَالِ:
- أَوَّلًا: يَرَى العُلَمَاءُ المُشَارِكُونَ فِي المُؤتَمَرِ أَنَّهُ لَا حَرَجَ فِي زِيَارَةِ المَسجِدِ الأَقصَى المُبَارَكِ فِي القُدسِ الشَّرِيفِ لِلفِئَاتِ الآتِيَةِ: لِلفِلِسطِينِيِّينَ أَينَمَا كَانُوا فِي فِلِسطِينِ أَو خَارِجِهَا مَهمَا كَانَت جِنسِيَّاتُهُم. وَلِلمُسلِمِينَ مِن حَمَلَةِ جِنسِيَّاتِ بُلدَانٍ خَارِجَ العَالَمِ الإِسلَامِيِّ.
- ثَانِيًا: وَفِي جَمِيعِ الحَالَاتِ يَجِبُ أَن تُرَاعَى الضَّوَابِطُ الآتِيَةُ... ».
وَيَتَّضِحُ مِن ذَلِكَ أَنَّ المُؤتَمَرَ لَم يُصدِر فَتوَى تُطَالِبُ شُعُوبَ عَالَمِنَا العَرَبِيِّ عَلَى الأَقَلِّ بِزِيَارَةِ القُدسِ تَحتَ الإِحتِلَالِ.
* أَمَّا الأَزهَرُ الشَّرِيفُ، فَبَينَ عُلَمَائِهِ تَبَايُنٌ فِي وِجهَاتِ النَّظَرِ نَاتِجٌ عَن تَقدِيرِ المَصَالِحِ وَالمَفَاسِدِ مِن الزِّيَارَةِ تَحتَ الإِحتِلَالِ، لَكِنَّ المَوقِفَ الرَّسمِيَّ لِلأَزهَرِ هُوَ رَفضُ زِيَارَةِ القُدسِ تَحتَ الاحتِلَالِ؛ حَيثَ لَا مَصلَحَةَ فِي ذَلِكَ، بَل إِنَّ زِيَارَةَ القُدسِ فِي ظِلِّ اِحتِلَالٍ غَاشِمٍ يُرِيدُ القَضَاءَ عَلَى كُلِّ المَعَالِمِ الإِسلَامِيَّةِ وَالمَسِيحِيَّةِ وَالتَّارِيخِيَّةِ وَالحَضَارِيَّةِ بِالمَدِينَةِ، تَترَتَّبُ عَلَيهَا مَفَاسِدُ جَسِيمَةٌ، وَمَضَارُّ عَظِيمَةٌ، وَنَتَائِجُ وَخِيمَةٌ. وَلَعَلَّ مِن المُهِمِّ فِي هَذَا السِّيَاقِ أَن نُذَكِّرَ بِمَوَاقِفِ رِجَالِ الأَزهَرِ الشَّوَامِخِ وَعُلَمَائِهِ الكِبَارِ الَّذِينَ رَفَضُوا زِيَارَةَ القُدسِ تَحتَ الإِحتِلَالِ:
- فَقَد رَفَضَ الشَّيخُ /عَبدُ الحَلِيمِ مَحمُودٌ مُرَافَقَةَ الرَّئِيسِ السَّادَاتِ فِي زِيَارَتِهِ لِلقُدسِ.
- وَعَلَّقَ الشَّيخُ/جَادَ الحَقُّ الزِّيَارَةَ عَلَى تَطَهُّرِ الأَرضِ مِن دَنَسِ المُغتَصِبِينَ اليَهُودِ وَعَودَتِهَا إِلَى أَهلِهَا يَرتَفِعُ فِيهَا ذِكرُ اللَّهِ وَالنِّدَاءُ إِلَى الصَّلَوَاتِ، وَأَعلَنَ أَنَّ مَن يَذهَبُ إِلَى القُدسِ مِن المُسلِمِينَ آثِمٌ مَا دَامَت مُحتَلَّةً.
- وَعَدَّ الدُّكتُورُ/نَصرُ فَرِيدٍ وَاصِلٍ الزِّيَارَةَ تَكرِيسًا لِلِاحتِلَالِ وَاِعتِرَافًا بِمَشرُوعِيَّتِهِ.
- وَجَدَّدَ الإِمَامُ الطَّيِّبُ مَوقِفَ الأَزهَرِ الرَّافِضَ لِلزِّيَارَةِ، مُؤَكِّدًا أَنَّ زِيَارَةَ القُدسِ تَحتَ الاحتِلَالِ لَا تُحَقِّقُ مَصلَحَةً لِلمُسلِمِينَ.
* وَقَد اِستَعرَضَ مَجمَعُ البُحُوثِ الإِسلَامِيَّةِ فِي اِجتِمَاعِهِ الطَّارِئِ الَّذِي اِنعَقَدَ فِي ١٩ أَبرِيلَ ٢٠١٢مِ آرَاءَ عُلَمَائِهِ فِي هَذَا الشَّأنِ، ثُمَّ أَصدَرَ بَيَانًا جَاءَ فِيهِ:

« إنَّ الأَزهَرَ الشَّرِيفَ يُؤَكِّدُ مَوقِفَهُ الرَّافِضَ لِزِيَارَةِ القُدسِ وَالمَسجِدِ الأَقصَى وَهُمَا تَحتَ الاِحتِلَالِ الإِسرَائِيلِيِّ».
وَعَلَيهِ... فَإِنَّ مَا عَلَيهِ الرَّأيُ إِلَى الآنَ -وَالَّذِي يُعَضِّدُهُ مَوَاقِفُ عُلَمَاءِ الأَزهَرِ الشَّرِيفِ وَشُيوخِهِ الأَجِلَّاءِ، وَكَذَا المَوقِفُ المُشَرِّفُ لِلكَنِيسَةِ المِصرِيَّةِ- هُوَ أَنَّ زِيَارَةَ القُدسِ تَحتَ الاِحتِلَالِ مُتَوَقِّفَةٌ عَلَى تَقدِيرِ المُختَصِّينَ بِبِلَادِ المُسلِمِينَ لِلمَصلَحَةِ فِي ذَلِكَ، فَتَكُونَ جَائِزَةً إِذَا مَا غَلَبَت المَصلَحَةُ، وَمَمنُوعَةً إِذَا مَا غَلَبَت المَفسَدَةُ.
وَمِن وِجهَةِ نَظَرِي الشَّخصِيَّةِ، فَإِنَّ هُنَاكَ جِهَتَينِ هُمَا الأَقدَرُ عَلَى تَقدِيرِ المَصلَحَةِ مِن الزِّيَارَةِ:
الأُولَى: المَقدِسِيُّونَ الَّذِينَ يَعِيشُونَ دَاخِلَ مَدِينَةِ القُدسِ دُونَ سِوَاهُم، وَذَلِكَ بِالنَّظَرِ إِلَى وُجُودِهِم عَلَى الأَرضِ، وَقُدرَتِهِم عَلَى تَحدِيدِ أَثَرِ الزِّيَارَةِ وَمَردُودِهَا عَلَيهِم سَلبًا وَإِيجَابًا.
وَالجِهَةُ الثَّانِيَةُ: قَادَةُ الدُّوَلِ العَرَبِيَّةِ وَالإِسلَامِيَّةِ، وَذَلِكَ بِالنَّظَرِ إِلَى قُدرَتِهِم مِن خِلَالِ الأَجهِزَةِ المَعنِيَّةِ عَلَى تَحدِيدِ الأَبعَادِ السِّيَاسِيَّةِ لِلزِّيَارَةِ وَتَأثِيرِهَا عَلَى قَضِيَّةِ القُدسِ بِرُمَّتِهَا فِي المَحَافِلِ الدَّولِيَّةِ، وَالخُطُورَةِ المُحتَمَلَةِ عَلَى مُوَاطِنِيهَا فِي حَالِ دُخُولِهِم لِزِيَارَةِ القُدسِ، وَالضَّمَانَاتِ الَّتِي تَضمَنُ عَدَمَ وُصُولِ المُوسَادِ الإِسرَائِيلِيِّ لِهَؤلَاءِ الزَّائِرِينَ وَمُحَاوَلَتِهِ تَجنِيدَ بَعضِهِم، وَالمَوقِفِ الَّذِي يَنبَغِي اِتِّخَاذُهُ إِذَا مَا طَالَبَ الصَّهَاينَةُ بِالسَّمَاحِ لِشَبَابِهِم وَنِسَائِهِم بِدُخُولِ بِلَادِنَا مُعَامَلَةً بِالمِثلِ وَأَثَرِ ذَلِكَ عَلَى أَمنِنَا القَومِيِّ، وَغَيرِ ذَلِكَ مِن أُمُورٍ يَعرِفُهَا أَهلُ الاِختِصَاصِ.
وَلَا يَخفَى عَلَى حَضَرَاتِكُم أَنَّ المَصلَحَةَ بِهَذَا التَّصَوُّرِ لَم تُحَقَّق بَعدُ، وَمَا زَالَت مَحَلَّ خِلَافٍ إِلَى اليَومِ، فَعَلَينَا إِذًا التَّرَوِّي وَدِرَاسَةُ المَسأَلَةِ مِن جَمِيعِ جَوَانِبِهَا دِرَاسَةً وَافِيَةً مُستَفِيضَةً حَتَّى تَتَجَلَّى المَصلَحَةُ؛ لِأَنَّ القَولَ بِزِيَارَةِ القُدسِ وفقَ هَذِهِ المُعطَيَاتِ لَيسَ مُلَائِمًا، وَإِنَّمَا هُوَ قَولٌ مُتَعَجِّلٌ يَصطَدِمُ بِعَقَبَاتٍ يَصعُبُ حَصرُهَا فِي هَذَا المَقَامِ.
وَلَعَلَّ الأَولَى بِالمُسلِمِينَ اليَومَ إِن كَانُوا يُرِيدُونَ حَقًّا دَعمَ إِخوَانِهِم فِي القُدسِ أَن يَتَحَرَّكُوا بِشَكلٍ عَاجِلٍ، لِتَحقِيقِ مَصَالِحِ المَقدِسِيِّينَ وَعُمُومِ الفِلِسطِينِيِّينَ الَّتِي لَا خِلَافَ حَولَهَا؛ كَالدَّعمِ السِّيَاسِيِّ وَالمَالِيِّ وَالثَّقَافِيِّ وَالمَعنَوِيِّ، وَأَن يَشُدُّوا الرِّحَالَ إِلَى القُدسِ لَا لِزِيَارَتِهَا تَحتَ الاِحتِلَالِ، وَإِنَّمَا لِتَحرِيرِهَا بِكُلِّ وَسِيلَةٍ مُمكِنَةٍ؛ فَالمُسلِمُ لَا يُفَرِّطُ فِي شِبرٍ مِن أَرضٍ سَلَبَهَا مُعتَدٍ أَثِيمٌ، فَكَيفَ

وَالأَرضُ المُغتَصَبَةُ أَرضُ الإِسرَاءِ وَالمِعرَاجِ؛ أَولَى القِبلَتَينِ وَثَالِثُ الحَرَمَينِ؟!
وَأَخِيرًا.. نُؤَكِّدُ أَنَّ كُلَّ مُحتَلٍّ مَهمَا طَالَ بَغيُهُ فَمَصِيرُهُ إِلَى زَوَالٍ، وَأَنَّ كُلَّ غَاصِبٍ مَصِيرُهُ إِلَى قُوَّةٍ تُرغِمُهُ وَتُجلِيهِ عَمَّا اِغتَصَبَهُ مِن أَرضٍ، وَتَرُدُّ مَا زَوَّرَهُ مِن تَارِيخٍ. وَإِنَّنِي بِصِفَتِي مُسلِمًا عَرَبِيًّا أُومِنُ أَنَّ النَّصرَ آتٍ لَا مَحَالَةَ، فَقَد وَعَدَنَا اللهُ عزَّ وجلَّ بِذَلِكَ فِي كِتَابِهِ الَّذِي لَا يَأتِيهِ البَاطِلُ مِن بَينِ يَدَيهِ وَلَا مِن خَلفِهِ، وَلَن يُخلِفَ اللهُ وَعدَهُ.
كَمَا نُؤَكِّدُ أَنَّ القُدسَ سَتَظَلُّ عَرَبِيَّةً إِسلَامِيَّةً، وَسَتَبقَى مَفتُوحَةً لِأَتبَاعِ الرِّسَالَاتِ السَّمَاوِيَّةِ كَافَّةً، وَلَن يَترُكَهَا المُسلِمُونَ -وَالمَسِيحِيُّونَ كَذَلِكَ- لِيَتَحَكَّمَ فِيهَا الصَّهَايِنَةُ، وَيَنتَهِكُوا مُقَدَّسَاتِهَا الإِسلَامِيَّةَ وَالمَسِيحِيَّةَ، وَيَعِيثُوا فَسَادًا فِي أَرضِهَا، وَبَطشًا بِأَهلِهَا.
وَيُؤَكِّدُ الأَزهَرُ الشَّرِيفُ عَلَى مَوقِفِهِ الرَّافِضِ لِلتَّطبِيعِ مَعَ الكِيَانِ الصُّهيُونِيِّ بِكُلِّ أَشكَالِهِ، وَأَنَّهُ سَيَظَلُّ حَائِطَ صَدٍّ مَنِيعًا فِي وَجهِ مَن يُرِيدُ شَرًّا بِالإِسلَامِ وَمُقَدَّسَاتِهِ، بَل بِالإِنسَانِيَّةِ وَحَضَارَتِهَا، وَيُنَاشِدُ الأَزهَرُ الشَّرِيفُ الأُمَّةَ بِمَجمُوعِهَا أَن تَتَسَامَى عَلَى تَحَزُّبِهَا وَتَفَرُّقِهَا وَخِلَافَاتِهَا، وَأَن تَأتَمِرَ بِأَمرِ رَبِّهَا فَتَعتَصِمَ بِحَبلِ اللَّهِ جَمِيعًا، وَلَا تَتَنَازَعَ فَتَفشَلَ وَتَذهَبَ رِيحُهَا، وَسَيَعلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ!.
وَفَّقَكُم اللَّهُ أَيُّهَا السَّادَةُ

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته